



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية المنصور الجامعة
قسم الإعلام الرقمي

المادة: الصحافة الاستقصائية

م.م. قاسم مصطفى المعيني

المرحلة الثالثة

الدراسة (الصباحية والمسائية)

المحاضرة الثالثة

2024-2023

نشوء وتطور الصحافة الاستقصائية

ظهرت الصحافة الاستقصائية مطلع القرن العشرين ، بالتزامن مع ما يعرف بالعصر التقدمي ، إذ نجحت مجموعة من الصحفيين الذين عرفوا لاحقاً باسم المنقبين الأوائل أو الموكريكرز ، في كشف الكثير من الانتهاكات والممارسات الخاطئة والفساد وسطوة الشركات الاحتكارية والخداع ، التي نتجت عن التوسع الصناعي الذي امتدت سنواته من ١٨٨٠ حتى عام ١٩٢٠ م ، لكن قبل هذا العصر ، كانت ثمة تجارب مبكرة أشرها المؤرخون لنشوء الصحافة الاستقصائية يعود بعضها إلى ما قبل أكثر من ٢٠٠ عام من عهد الموكريكرز ، كان من أبرزها تجربة الصحفي بنيامين هاريسون الذي تنسب إليه البواكير الأولى للصحافة الاستقصائية ، فقد كشف هاريسون في ٢٥ أيلول سبتمبر ١٦٩٠ عن الانتهاكات التي ارتكبتها الأمريكيون المتحالفون مع بريطانيا آنذاك (قبل نشوء الولايات المتحدة الأمريكية) ضد الأسرى الفرنسيين .

ورداً على ما كتبه هاريسون حول هذه الانتهاكات، قامت السلطات البريطانية بإغلاق صحيفته التي كان أصدرها للتو في مدينة بوسطن الأمريكية، وكان العدد الذي احتوى كتابات هاريسون هو العدد الأول والأخير لهذه الصحيفة التي لم تدم لأكثر من أربعة أيام فقط .

بعد ثلاثة عقود تقريباً، وتحديداً في العام ١٧٢١، تعقب الصحفي جيمس فرانكلين الأخطاء التي ارتكبتها الكنيسة البروتستانتية في برنامج مكافحة مرض الجدري، وتمكن فرانكلين من خلال كتاباته من وقف هذه الإجراءات، وتحفيز الاهتمام بقطاع الصحة .

وفي عام ١٧٣٥، وجه الصحفي جون بيتر زنغر اتهامات بالفساد لحاكم ولاية نيويورك، وقضى عاماً كاملاً في السجن قبل أن يقدم للمحاكمة بتهمة التحريض، وخلال المحاكمة، دافع المحامي زنغر عن حق الصحفيين في كشف الفساد والانتهاكات بعبارته الشهيرة التي وصفت بأنها تمثل عقيدة الصحفي الاستقصائي طوال قرنين ونصف بعد المحاكمة، وهي ضرورة حماية وحرية فضح ومعارضة السلطة التعسفية ... عن طريق التحدث وكتابة الحقيقة .

وخلال الستون التي أعقبت تجارب هاريسون وفرانكلين وزنغر، لم تظهر الكثير من التجارب المماثلة لتجربة هؤلاء، وحين كان القرن التاسع عشر يوشك على نهايته، كانت الصحافة الحزبية التي سادت آنذاك هي التي تغطي على المشهد الإعلامي في القارة الأمريكية الشمالية وأوروبا، وكانت في أغلبها تستخدم وسيلة لضرب الخصوم السياسيين من خلال ما تنشره من فضائح أو معلومات غير دقيقة.

المنقبون الأوائل

ارتبط مصطلح المنقبين الأوائل، بمجموعة من الصحفيين والروائيين الذين برزوا مطلع القرن العشرين وتعقبوا الفساد والانتهاكات والممارسات الخاطئة التي ترافقت مع الثورة الصناعية، وما زال هذا المصطلح يطلق حتى الآن، على المحققين الاستقصائيين المعاصرين الذين يتعقبون الفساد والممارسات الخاطئة لفضحها أمام الجمهور.

فمع انطلاق العصر التقدمي تزايدت حدة الانتهاكات والمظالم التي كانت ترتكب بحق العمال والمزارعين والمهاجرين والطبقات المسحوقة في المجتمعات الغربية، خصوصاً في ظل القوانين التي كانت في أغلبها تحمي حقوق أصحاب المصانع والشركات الاحتكارية النافذة، وهو ما دفع المنقبين إلى كشف حجم الانتهاكات وتسلط الضوء على ما ترافق مع هذا العصر من ممارسات فاسدة.

وتعقب المنقبون الأوائل، العديد من المظاهر التي سادت في ذلك العصر، مثل فساد الشركات الكبرى، نظام الاحتكار، التمييز ضد الأقليات، انخفاض معايير السلامة والنظافة في صناعة الأغذية، إجبار الأطفال على العمل لساعات طويلة في المصانع مقابل أجر ضئيل، الفساد في إدارات المدن الرئيسية، تردي أوضاع المهاجرين الذين كانوا يعيشون في مساكن مكتظة تنتشر فيها الأمراض، والتمييز ضد الأقليات.

وإزاء الضغط الذي ولده المنقبون الأوائل على السلطات وإثارتهم للرأي العام، وجه الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت نقداً قاسياً للمنقبين الأوائل، ووصفهم في خطابه الشهير عام ١٩٠٦ على المنقبين الأوائل بأنهم (النباش في الوحل).

وبرغم إن تسمية الموكريكرز كانت تهدف إلى الحظ من شأنهم، إلا أنها تحولت منذ ذلك الوقت إلى مبعث فخر لهم ولكل الصحفيين المخالفات وتعديل القوانين الظالمة.

ساهمت كتابات المنقبين الأوائل التي نشرتها صحف ومجلات رصينة، أبرزها مجلة مكلور الأمريكية، في صدور مجموعة قوانين مهمة، مثل قانون الغذاء والدواء، وهو مقياس على معايير السلامة والنظافة في صناعة الأغذية، وقوانين مكافحة الاحتكار، وإدخال ضرائب الدخل على المستوى الفيدرالي لإعادة توزيع الثروة، وتنظيم عمالة الأطفال، وتعويضات العمال والمعاشات التقاعدية.

وخلال المدة التي امتدت من عام ١٩٠٠ ولغاية ١٩١٢، كانت حركة المنقبين من القوى الرئيسية التي تحرك المجتمع الغربي، لكنها منذ أواخر العام ١٩١٢، بدأت بالتراجع نتيجة الضغوط المالية وحرمان الصحف والمجلات التي تنشر تحقيقات المنقبين من الإعلانات، فضلاً عن التطورات التي شهدتها العالم قبل الحرب العالمية الأولى.

وصف الأمريكي مارك فلدشتاين المدة التي امتدت من نهاية عصر المنقبين وحتى نهاية حرب فيتنام في ستينات القرن العشرين، أنها كانت بمثابة (العصور المظلمة للصحافة الاستقصائية) ".

فضيحة ووتر غيت

مع مطلع ستينات القرن الماضي، عادت الصحافة الاستقصائية إلى الواجهة مرة أخرى، مستفيدة من ولادة جيل جديد من المنقبين وتطورات تكنولوجية هائلة شهدتها قطاع الإعلام، بما في ذلك تطور تقنيات التصوير والأشرطة المسجلة وانتشار آلات النسخ، فضلاً عن سن المزيد من قوانين حرية الإعلام التي كان من أبرزها آنذاك، قانون حرية المعلومات الذي اقراه الكونغرس الأمريكي عام ١٩٦٧ ".

ترافقت مع التطورات الإعلامية، تطورات أخرى في المجالات السياسية والعسكرية، خصوصاً تلك التي تتعلق بالحرب الباردة والحرب الأمريكية في فيتنام وما رافقها من نقص عام في الثقة بالإدارة الأمريكية، وكانت خلاصة تلك المرحلة مجموعة من التحقيقات الاستقصائية التي فضحت سعي الإدارة الأمريكية للتحويل من دولة ديمقراطية إلى دولة سرية.

وكان من أبرز التحقيقات التي أثارت الرأي العام العالمي في نهاية الستينات ومطلع السبعينات من القرن العشرين، ثلاث تحقيقات وصفت بأنها بداية العصر الجديد للصحافة الاستقصائية، كان في مقدمتها الكشف الذي قدمه المحقق الاستقصائي الأمريكي المعروف سيمور هيرش، حول المذبحة التي ارتكبتها الجيش الأمريكي في قرية (ماي لاي) الفيتنامية في آذار مارس عام ١٩٦٨، والتي راح ضحيتها نحو (٥٠٠) طفل وامرأة وشيخ كبير.

بقيت المذبحة طي الكتمان حتى تمكن هيرش من كشف تفاصيلها في تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٦٩، وسرعان ما ولدت الصور والتفاصيل المتعلقة بالمذبحة ردود فعل غاضبة هزت العالم، وكشفت بشاعة الحرب التي كانت الولايات المتحدة تخوضها آنذاك وسط رقم شعبي واسع ".

وفي عام ١٩٧١، حقق الصحفي الأمريكي نيل شاهان سبقاً استقصائياً فريداً في ذلك الوقت تمثل بحصوله على وثائق سرية عرفت لاحقاً بـ (أوراق البنتاغون)، وهي تكشف الأخطاء في التقدير

التي قادرة الإدارة الأمريكية إلى التورط في حرب فيتنام، واثار نشر هذه الأوراق في صحيفة نيويورك تيمز ثم في صحيفة لوشنطن ولاحقاً في صحيفة بوسطن غلوب، ردود فعل غاضبة لدى الرأي العام الأمريكي".

وفي عام ١٩٧٢، تمكن صحفيان شابان من صحيفة الوشنطن بوست هما بوب وود وود وكارل بيرن شتاين، من الكشف عن أشهر فضيحة سياسية في العصر الحديث، وهي فضيحة ووت رغيث التي أطاحت بالرئيس الأمريكي ريتشارد نيسكون بعد ثبوت تورطه وفريقه الخاص بعملية زرع أجهزة تنصت داخل مقر الحزب الديمقراطي المنافس.

ويصف مؤرخو الصحافة الاستقصائية ما فعله الصحفيان وود وود وبيرنشتاين من خلال فضيحة ووتر غييت، بأنه كان القاعدة التي انطلقت منها كل القوة الدافعة للتحقيقات الاستقصائية التي أعقبته، وأنها كانت سبباً رئيساً في تركيز وسائل الإعلام على هذا النوع ممن التحقيقات، والسعي إلى مؤسسة الصحافة الاستقصائية، إذ أنها برهنت على قوة الصحافة الاستقصائية وقدرتها على كشف الفضائح التي ترتكبها أعلى السلطات وأكثرها تحصيناً".